نقد مناهج الحداثة المستعملة لفهم النص القراني

طالب دكتوراه : حسن هادي كاظم

أد. خليل حسن الزركاني

جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية

الملخص

تعتبر القراءة الحداثية اليوم الشغل الشاغل لجيل الشباب المثقف بين مفتون بها ومقبل على مخرجاتها فهي المخلص المنتظر له، من حالة التخلف والتراجع عن اللحاق بركب التقدم الحضاري الغربي وآخر ناقد لها مدافعا عن قرآنه ودينه فيراها كالثور الهائج ابان ذبحه، لقد ادى تطبيق المناهج الغربية على النصوص الدينية العربية إلى وقوع الحداثيين في أخطاء وتناقضات كثيرة؛ نظرًا لخصوصية القرآن الكريم من جهة بالمقارنة مع الكتاب المقدّس عند النصارى، ونظرًا لخصوصية اللغة العربية بالمقارنة مع اللغات الأخرى من جهة أخرى، اخفقت الحداثة في تطبيق هذه المناهج المستوردة على القرآن الكريم والسنة النبوية، لانها استخدمت هذه المناهج على العضو السليم وليس على العضو المصاب لو صح التعبير ،لان هذه المناهج تولدت في البيئة الغربية وفي اجواء الصراعات والمناكفات بين الشعوب المستضعفة والكنيسة والطبقة الحاكمة المستبدة والتي كانت تستأثر بتفسير الكتاب المقدس حسب مصالحها الخاصة فجائت ثورة التنوير لضرب الكنيسة وتفسيراتها فطبقت هذه المناهج للتخلص من استغلال الكنيسة والسلطة الحاكمة وتحرير الشعوب من حقبة طويلة من القمع والظلامية التي سيطرت عليها آنذاك.اعتمد البحث عرض أهم مناهج الحداثة بايجاز كمناهج السانيات والبنيوية والتفكيكية والتاويلية وآلياتها وبعض تطبيقاتها وروادها ثم نقد هذه المناهج وبيان مواطن الخلل فيها وتشخيص الخطأ المنهجي في تطبيقها على القران الكريم والسنة المطهرة ببيان الآثار المترتبة على تبني الطرح الحداثي في الفهم من نزع القداسة عن القران الكريم، وتجاوز المناهج الأصيلة في فهم الكتاب والسنة وتوظيف مناهج الحداثة في فهم للنص الديني مما افرز تصور ومفهوم جديد للقرآن والسنة والدعوه الى فهم الأحكام التشريعية في ضوء أسبابها التاريخية وادعاء عدم اكتمال التشريع في القرآن الكريم وتعطيل السنة النبوية. وفيما يأتي نقد لبعض هذه المناهج الحداثية في ضوء الفكر الغربي نفسه، وفي ضوء أصول اللغة العربية والأصول الشرعية الإسلامية:

أولا: مناهج اللسانيات الحديثة (linguistiques modern)

اللسانيات علم يدرس اللغة، ويحاول جعل البحث اللغوي معتمداً على التجريب تماماً كالبحث التطبيقي في العلوم الحسيّة البحتة، وهو على كل حال نشأ في ظروف تمدد المنهجية الوضعية الغربية وبسط نفوذها على العلوم الإنسانية لإخضاعها لمنطق الحس، (بالرغم من مفارقتها له)، ولذلك فإن هذا العلم (اللسانيات) علم يقوم على أرضية فلسفية وإبستمولوجية (أصول معرفية) وضعية، وهو بذلك ليس علماً حيادياً، مما يجعل استعماله محفوفًا بالمخاطر، خصوصاً إذا كان موضوع تطبيقه القرآن الكريم[١].وعلينا أن نؤكد هنا أن سوء استعمال البعض لهذا العلم لا يعني أن هذا العلم برمته سيء، لا يمكننا الاستفادة منه، فالمسلمون يعتقدون –على خلاف النصرانية– أن العلم والقرآن كلاهما من الله تعالى، ومن ثم فهما لا يتصادمان، وسوء الاستخدام وحده هو الذي يجب استنكاره.من مناهج العلوم التي طبقها الفكر الحداثي المعاصر على القرآن الكريم فهماً وشرحاً، المنهج اللساني، الذي نشأ في ظروف تمدد المنهجية الوضعية الغربية وبسط نفوذها على العلوم الإنسانية لإخضاعها لمنطق الحس بالرغم من مفارقتها له[٢].وممن طبق هذا المنهاج اللساني على القرآن الكريم من الحداثيين المعاصرين؛ محمد أركون ومحمد أبو القاسم حاج حمد ومحمد شحرور وغيرهم، ولعل أشهر الحداثيين واكثرهم تطبيقاً الدكتور محمد اركون الذي أخذ بعدّة مناهج في قراءة النص القرآني، منها المنهج اللساني[٣] وعلم الأنسنة[٤] والمنهج التاريخي[٥]،وأحيانا يخلط بين هذه المناهج كلّها أثناء عملية القراءة. وقد كان لمحمد اركون اهتماماً بتوظيف مناهج العلوم المعاصرة، التي منها اللسانيات في فهم القرآن وقراءته، وذلك مما جعله يقول: « ننظر أن يتم تناول القرآن من جميع الوجوه، وأن يخضع للقراءة والتأويل من قبل جميع الفاعلين الإجتماعيين، مهما كان مستواهم الثقافي وتوجهاتهم المذهبية، وذلك للإجابة على مختلف الأسئلة العلمية والاكتشافات الجديدة لأنظمة القرآن في اللسانيات والتاريخ والأنثروبولوجيا والعقيدة والفلسفة»[٦]، وقد طبق الانسنة على النص القرآني.والهدف الذي يصبو للوصول إليه من خلال توظيف هذا الفرع من المنهج في عملية فهم القرآن، هو تحقيق رؤية حركة فكرية عربية، تواكب مختلف الخطابات الإسلامية التي تسعى لشرح القرآن وبيان وظائفه ودلالاته، حتى يتسنى ضمان التحكم في فهم القرآن الذي تضاعف استهلاكه إيديولوجيا دون الأخذ بعين الاعتبار ما يطرحه التفكير الحر والنقدي من مشاكل معاصرة، ليس بالنسبة للمسلمين فقط بل بالنسبة لكل فكر منشغل بتجديد فهمنا للظاهرة الدينية[٧].فمحمد اركون دعا إلى منهج واضح لقراءة القرآن الكريم من خلال اللسانيات وغاية ما اقترح في هذا الصدد أن يطرح المنطق اللغوي في فهم النصوص وترك علوم اللسان العربي للمبحث في بنية الكلام القرآني، ودعا إلى إعادة النظر في التراث التفسيري المتراكم، وعدم التعويل فقط على التفاسير التقليدية بل اعلن عن القطيعة مع مطلق التراث القديم، ونفى النسخ وعارض اسباب النزول واعرض عن علوم القرآن والسنة النبوية[٨].وعندما حاول محمد أركون تطبيق المنهج الألسني المقترح في تفسير بعض آيات القرآن الكريم، لم يستقم له ذلك، إذ رام سنة ١٩٧٤م قراءة سورة الفاتحة، وأعاد سنة ١٩٨٠ قراءة سورة الكهف[٩].والسبب في ذلك أنه حشر في قراءته

لهذه السورة الكثير من أقوال المستشرقين ريجي بلاشير[١٠]،وهنري كوربان[١١]، ولويس ماسنيون[١٢]، مما لا تعلق له بفهم آياتها، وكذلك أدرج ضمن ذلك نصوصا من تفسير الطبري والفخر الرازي[١٣] مقطوعه من سياقها، وبالتالي فشل في تطبيق المنهج الالسني على القران الكريم.

ولنسأل ماذا تريد مناهج اللسانيات ؟لقد ركزت الدراسات في مجال اللسانيات المعاصرة على مسألة الترادف اللغوي، التي ترتكز على فكرة "أنه لا بد لكل مفهوم ذهني مما يقابله في الوجود المادي"،التي تتداخل مع المادية التاريخية كنظرية قادرة لوحدها على قراءة التراث بطريقة حداثية ، تستوعب حركة التاريخ وقيمه النسبية ومطابقتها للقرآن الكريم، والتي لا يمكن إبرازها إلا من خلال فهم كيفية طرائق اشتغال الفكر الديني المرتبط بالبنية الأسطورية للقرآن، الذي اختلطت به الحوادثُ التاريخيةُ الجزئيةُ والحكاياتُ الشعبيةُ والأساطير القديمةُ، على شاكلة العهد القديم والجديد. وبهذا يكو مقصدُ جل هذه المناهج محاولة إخضاع كل ما ورد في القرآن إلى منطق الحس والتجربة[١٤].

ثانياً: نقد البنيوية:

المنهج البنيوي يقوم « ببتر النصّ وعزله عن قائله وفكره ووجدانه، وكلّ ما يُحيط به من مؤثرات، فيتعامل مع النص على أنّه قالب جامد، ثم يفسر النص بمعانٍ غير مقصودة، بل ولا يحتملها النصّ. أمّا نظرية النظم عند الجرجاني فهي تُعتمد في ترتيب معاني النصوص، وتوضيح معانيها، بإخضاعها لضوابط، حيث يُرجع ذلك كله لقوانين النحو وأصوله»[١٥].والمنهج البنيوي الذي طبَّقه أركون مُستعينًا بالمنهج الألسني يهدم مصدرية النصّ القرآني ومعانيه؛ لأنّ «دلالات الوحي تنهدم بإغلاق دلالة النصّ على ذاته، وبتر مدلوله عن مقاصد الشارع الحكيم وأسباب النزول وغيرها من مفسرات النص الشرعي»[١٦].فمثلًا، مِن مخاطر تقسيم أركون لآيات سورة الفاتحة أنّه بَنَى عليه أنّ «التشريعات ليست بنًى أصلية، وإنّما بنًى تابعة شعائرية»[١٧]؛ وكأنّ التشريعات غير مقصودة بذاتها من الشّارع الحكيم.وأثناء قراءته لِنَظْم سورة الفاتحة فإنّ «تسميته للفواصل قوافي غلطٌ؛ إذ لا يجوز تسمية فواصل الآيات بالقوافي»[١٨]؛ لأنّ الله تعالى لمّا سَلَبَ عنه اسمَ الشعر وجبَ سَلْبُ القافية عنه أيضًا؛ كما أنّ تسميته للآيات جُملًا تهدف إلى نزع القدسية عن آيات القرآن الكريم.ثُمّ إنّ نظرية خلق القرآن التي يدعو أركون إلى إحيائها من أجل التشكيك في مصدرية القرآن الكريم؛ فَقَدْ كانت ردًّا على النصارى الذين أرادوا أن يشككوا المسلمين في عقيدتهم؛ حيث كانوا يقولون بأنّ عيسى – عليه السلام– قديم لأنّه (كلمة الله) مثله مثل القرآن[١٩].والمعتزلة كي يخرجوا من هذا المأزق قالوا بأنّ القرآن مخلوق، بدَلَ أنْ يُبيّنوا أن (كلمة الله) تعني أن الله تعالى خَلَقَ عيسى بمجرد كلمة «كُنْ؛ فكان»[٢٠].

ثانيًا: نقد التفكيكية:

يمثل المنهج التفكيكي اليوم خطرًا كبيرًا في مقاربة النصوص وقراءتها وتأويلها، لأنه قائم على التشكيك في الثوابت واليقينيات، وعلى زعزعة الثقة في أي خطاب أو نص؛ سواء أكان هذا النص سماويًّا، أم بشريًّا، وحيًّا من رب العالمين، وكلاما له، أم كلاما للناس، فالتفكيك يسعى لتعويم المدلول المقترن بنمط ما من القراءة واستحضار المُغيب بحثًا عن تخصيب مستمر للمدلول على وفق تعدد قراءات الدال، مما يفضي إلى متوالية لا نهائية من الدلالات[٢١]. ولا يحاول الاقتراب إلى الخطاب إلا بوصفه نظاما غير منجز إلا في مستوى كونه ملفوظا بعبارة أخرى هو تمظهر خطي قوامه سيل من الدوال، وهو ينتج باستمرار ولا يتوقف أبدا حتى لو مات كاتبه، وهذا ما يفسر عناية التفكيك بالكتابة دون الكلام[٢٢].وهي انحراف خطير في مداخلات النقد الجديدة، وفك الدوال عن معظم الكتابات فهي قراءة متضادة تثبت معنى للنص ثم تنقضه؛ لتقيم آخر على أنقاضه في إطار إساءة القراءة، وقراءة مزدوجة أيضًا تسعى إلى دراسة النص مهما كان بإثبات المعاينة الصريحة، ثم تسعى إلى تقويض ما تصل إليه من نتائج في قراءة معاكسة تعتمد على ما يحمله النص من معاني تتناقض مع ما يصرح به، فهي تسعى إلى إثبات أن ما هو هامشي قد يصير مركزيًا إذا نظرنا إليه من زاوية مغايرة، وتعطي السلطة الحقيقية للقارئ لا للمؤلف، كما تركز على الكتابة باقتلاع مفاهيم الكلام والصوت وتقتل أحادية الدلالة وتدعو إلى تشتت المعنى بتخليص النص من القراءة الأحادية، وتدعو إلى موت المؤلف وميلاد القارئ وتعتبر النصّ جملة من النصوص السابقة أو إقصاء لنصوص متعددة التناص[٢٣]، يراد بمصطلح التناص "تقاطع النصوص وتداخلها ثم الحوار والتفاعل فيما بينها". وبذلك فإن التناص هو أسلوب لتشكيل "فضاء النصّ"[٢٤]. كما أنها قراءة تسعى للبحث عن اللبنة القلقة غير المستقرة وتحركها حتى ينهار البنيان من أساسه ويعاد تركيبه من جديد. وفي كل عملية هدم وإعادة بناء يتغير مركز النص وتكتسب العناصر المقهورة أهمية جديدة يحددها بالطبع أفق القارئ الجديد[٢٥]، فالتفكيك" لا يقدم ولم يقدم نظرية بديلة للمذاهب أو النظريات التي يدمرها أو يرفضها[٢٦]. وقامت التفكيكية على نَقْض «مقولة المرجعية النهائية والحقيقة المطلقة، في حين أنّ التفكيكيّين يلقون مقولاتهم (...) على أنّها مقولات لا تُناقش»[٢٧].كما أنّ التفكيكية تدّعي أنّ «تطبيق المعنى غير قابل للتحقق»[٢٨]؛ عكس نظرية ابن جنيّ التي ترى مناسبة الألفاظ للمعاني، وتظهر «المناسبة واضحة فيما دلّ على الحدث من الألفاظ فلكلّ حدث لفظ يناسبه من ناحية القوة أو الضعف»[٢٩]؛ فمثلًا: حرف القاف أكثر قوة من الخاء؛ ولذلك استعملوا (الخَضْم)

لأكل الرطب، و(القَضْم) للصلب اليابس.ثم إنّ الجابري استعمل لغة التفكيك لإعطاء المحكم والمتشابه تعاريف جديدة؛ حيث يرى أنّ المحكم هو الظواهر الكونية الثابتة، والمتشابه هو كل شيء خارق للعادة. ولقد خالف الجابري هنا القاعدة المتفق عليها (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) ؛ حيث خصّص لفظ (الآية) بـ(العلامة) اعتمادًا على حديث ابن إسحاق المشكوك في صحته والوارد في سبب نزول الآيات الأولى من سورة آل عمران[٣٠]، حيث يقول الجابري: «ما يهمنا هنا هو أنّ الآيات السياق تشير بوضوح إلى أنّ الآيات المتشابهات هي كالتي احتج بها وفد نجران حين خاطب النبي(ﷺ): ألست تزعم أنّ عيسى روح الله وكلمته»[٣١].ويبدو أنّ هدفه من ذلك هو التشكيك في آيات القرآن الكريم؛ حيث لا شيء ثابت عنده إلّا الظواهر الكونية.

ثالثًا: نقد التأويلية[٣٢]:

يرى الشاطبي أنّ قضية الظاهر والباطن في القرآن من الأصول التفسيرية التي لا يسلم بها إلّا حين تُؤسَّس على المستند القطعي، ثمّ خلص إلى أنّ السبيل لاقتناص القطع في هذه القضية هو ربط الظاهر بالمفهوم العربي والباطن بالمقصود الشرعي[٣٣].وأنّ علاقة الظاهر بالباطن هي علاقة تكامل وتوافق، وليست علاقة تعارض وتخالف كما يذهب إلى ذلك الباطنية؛ لأنّ علاقة المخالفة تؤول حتمًا إلى «تصيير ألفاظ القرآن رموزًا مفصولة عن معانيها المقصودة، وهذا مخالف للقصد الإفهامي من إنزال القرآن باللسان العربي» [٣٤].غير أنّ التأويلية تُنكِر الظاهر أصلًا، وتقترح البحث عن المعاني وراء الألفاظ على غرار الباطنية.فمثلًا: يُشكِّك الشرفي في المعاني الحرفية للقرآن الكريم ، وذلك ليفتح المجال أمام التأويل الذي يُخرج النصّ القرآني عن ظاهره دون احترام أدنى شروط وضوابط الاجتهاد المقاصدي، ومنها: عدم معارضته للنصّ القطعي الذي ثَبتَ يقينًا في «منظور الشرع إمّا بالتّنصيص عليه، أو الإجماع عليه، أو ما عُلِم من الدّين بالضرورة»[٣٥]. ومن هذه القطعيات: العقائد على نحو أركان الإيمان الستة، والعبادات على نحو أركان الإسلام الخمسة.فمثلًا: لا يجوز تعطيل صوم رمضان بدعوى عدم مناسبته لجميع الأمكنة والأزمنة؛ وذلك لورود نصّ قطعي في وجوبه: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾[٣٦].تدل الآيات أن مراد الله تعالى من الأمة صوم ثلاثين يوماً متتابعة مضبوطة المبدأ والنهاية متحدة لجميع المسلمين، ولما كان ذلك هو المراد وُقِّتَ بشهر معيَّن وجعل قمرياً لسهولة ضبط بدئه ونهايته برؤية الهلال والتقدير، واختار الله تعالى شهر رمضان من بين الأشهر لأنه قد شُرف بنزول القرآن فيه، فإن نزول القرآن لما كان لقصد تنزيه الأمة وهداها ناسب أن يكون ما به تطهير النفوس والتقرب من الحالة المَلَكية واقعاً فيه[٣٧].

بيان الآثار المترتبة على تبني الطرح الحداثي في الفهم.كان لتبني الحداثيين منهجا معينا في فهم النص الديني الإسلامي قرآنا وسنة على ضوء معارف العصر وعلومه الحديثة، آثارٌ في مجالات تقديم الفكر الإسلامي الحديث في الجامعات والمنتديات العلمية، وعلى صفحات كثير من الكتب التي تنتجها المطابع كل يوم. ومن أجل بيان هذه الآثار، لابد من تقويم مناهج الطرح الحداثي في عملية الفهم لما يسميه تراثا وهو يقصد القرآن الكريم، والسنة النبوية المشرفة فمن معالم النظرة التقويمية لهذا الطرح الحداثي:

١- **نزع القداسة عن الأصلين العظيمين القرآن والسنة:** سعى التيار الحداثي المعاصر في فهمه الجديد للأصول الإسلامية المعتبرة إلى عدِّ القرآن والحديث كلاما من الكلام يمكن دراسته ونقده، وبيان قيمته علوا وهبوطا من غير وجل ولا خوف، وهذا أمرٌ متفق عليه بين أصحاب هذا التيار فـ" النص القرآني مثلا – عند نصر حامد أبي زيد– نص لغوي لا تمنع طبيعته الإلهية أن يدرس ويحلل بمنهج بشري، وإلا تحول إلى نص مستغلق على فهم الإنسان العادي مقصد الوحي وغايته"[٣٨].والسنة" هذا الأصل – حسب عبد المجيد الشرفي – لم يعد يحتل نفس المنزلة التي كانت له عند الأجيال القريبة من عهد النبوة، وأنَّ الشعور السائد أنه يعسر مواجهة مشاكل التشريع في المجتمعات العصرية بالرجوع إليه"[٣٩].

٢- **تجاوز المناهج الأصيلة في فهم الكتاب والسنة:** يكاد يجمع أصحاب التيار الحداثي في تناول ظاهرة فهم النص الديني الإسلامي على أنه ينبغي تجاوز المناهج القديمة الضابطة لعملية الفهم ، ذلك لأن معارفنا – كما يقول محمد أركون – التقليدية غير دقيقة[٤٠]، ويجب على هذا الأساس – كما يقول د. عبد المجيد الشرفي – " التعامل المباشر مع النص القرآني[٤١].

٣- **توظيف معارف العصر وعلومه في الفهم للنص الديني:** لقد آمن الفكر الحداثي المعاصر بوجوب توظيف العلوم الحديثة التي توصل إليها الإنسان المعاصر في مجالات مختلفة من المعرفة في فهم القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، واستقر رأيه على " أنَّ مِنْ أولى مهام المثقَّف والباحث الداعي إلى التنوير، التوفرُ على نقد الفكر الديني، بإخضاعه إلى الأساليب والمناهج العلمية في الدرس والتحليل[٤٢].

ويغلو هذا التيار في توظيف ما أحدثته الثورة المعرفية في علوم الطبيعة وعلوم الإنسان في هذا العصر – في عملية الفهم، مخافةَ أن ينقلب الدين – كما يقول عبد المجيد الشرفي– إلى إيديولوجيا، فيصبح أداة للنضال السياسي والاجتماعي، ويفقد بذلك قدرته التفسيرية وبعده الروحي المميز[٤٣].ولا يكاد يعترف التيار الحداثي بجهد معاصرٍ في تفسير القرآن الكريم، ولا في شرح الحديث النبوي الشريف ما لم يكن فيه أجوبة عن" المشاغل المعرفية – كما يقول عبدالمجيد الشرفي– التي تثيرها الفلسفات والعلوم الإنسانية الحديثة وتقتضيها عقلية العصر[٤٤].

٤– **ظهور تصور ومفهوم جديدين للقرآن والسنة:**اخترع التيار الحداثي المتعامل مع النص الإسلامي قرآنا وسنة مفاهيم جديدة للأصلين الكريمين، فالقرآن كما يراه تيار الحداثة" نتاج تجربة فردية قام بها محمد في إطار زمن ومكان محددين، أدى فيه التاريخ دورا مهما في توجيه فكر الفرد– المقصود هنا النبي– واللغة المعبرة بها عن ذلك بالتاريخ"[٤٥]، وأما السنة فهي" اجتهاد النبي في تطبيق أحكام الكتاب من حدود وعبادات " أو هي كما يقول العروي" الإسلام كما تجسد وتطور في التاريخ"[٤٦].نسبية الأحكام التشريعية وعدم لزومها في العصر الحديث: أثمر استبدال التيار الحداثي مفهوم الأصليْن بمفهوم جديد– ظهورَ عدة تصورات لما يجب أن يكون عليه موقف المسلم المعاصر من الشريعة اليوم، فمن ذلك:

أ/ **الدعوة إلى فهم الأحكام التشريعية في ضوء أسبابها التاريخية وظروف تقنينها وفرضها:** إذ من الواضح كما يقول– الصادق بلعيد– " أن فهم الأحكام القرآنية مرتبط بمعرفة الظروف التي نزلت في شأنها، وبذلك فإن تحديد مدى تلك الأحكام مقيد بمقتضيات تلك الحوادث، فلا يجوز أن تؤخذ تلك الأحكام بمعزل عن الحادثة التي جاءت فيها...لايجوز أن تحمل الأحكام القرآنية بصفة آلية على الإطلاق وعلى التعميم كما كان يفعله الفقهاء القدامى، فالارتباط الوثيق بين الحكم وسببه يحمل بالعكس على نسبية ذلك الحكم"[٤٧]. ومن الأمثلة التوضيحية التي تحصر الحكم القرآني في ظرفيته التاريخية، ما قد ذكره عبد المجيد الشرفي عند التعرض لحد السرقة عندما قال:" لاجدال في أن قطع يد السارق هو من الممارسات التي كانت معروفة قبل الإسلام، ومن الطبيعي أن تكون عقوبة السرقة شديدة في ظروف المجتمع البدوي، وفي إطار اقتصاد الكفاف عموما، إذ إنها قد تؤدي إلى هلاك من يُسرق منه ماله، وربما كانت هذه العقوبة الشديدة الوسيلة الوحيدة للمحافظة على قدر أدنى من النظام في غياب سلطة سياسية يمتد نفوذها إلى سائر أفراد المجتمع....فكان ما نصَّ عليه القرآن منسجما تمام الانسجام مع مقتضيات الظرف، ولكنه لا يعني غلق الباب في وجه أشكال أخرى من العقاب متى تطورت المجتمعات وبرزت فيها قيم أكثر تناغما مع هذا التطور.. [٤٨] .

ب/ **ادعاء عدم اكتمال التشريع في القرآن الكريم:** وعَدُّ ذلك من " المجازفة[٤٩]. لأنَّ" التفحص في النص القرآني – حسب الصادق بلعيد– وفي أسباب نزول الآيات المذكورة[٥٠].يدلُّ على أنَّ هذه المقولة إنما هي مغالاةٌ في الاستنتاج والاستخراج وإثقال غير مشروع للآيات المذكورة ولمقاصدها الحقيقية...وكيف يكون ذلك، وكيف يقبل العقل المقولة التقليدية باكتمال التشريع الإسلامي في القرآن الكريم، وفي الآيات الحُكمية منه بالذات، والحال أن هذه الآيات قليلة بصفة مرموقة؟؟ [٥١].

٥/ الدعوة إلى التفريق بين نصوص الوحي المقروءة وبين نصوص الوحي المدونة أثناء ممارسة عملية الفهم: إذ رأى التيارُ الحداثي أنَّ ذلك مؤثِّر في عملية الفهم، فالقرآن يجب أنْ" ننظر إليه بكونه في البداية وفي الأساس خطابا شفهيا انتقل إلى نصٍّ مكتوب، فتتغيرُ الآلياتُ للفهم والتفسير بتغير شكْل الخطاب نفسه[٥٢].

الخاتمة:

يتبيّن ممّا سبق أنّ الحداثيين يُوظِّفون المناهج الغربية في التعامل مع قضايا التراث التي يدرسونها، وأن استعمالهم لهذه المناهج آل بهم للتشكيك في الأصول والقطعيات الإسلامية، وفي مبادئ وقواعد اللغة العربية؛ حيث شكَّكَ أركون في إلهية النصّ القرآني ومعانيه، وشكّك الجابري في آيات القرآن الكريم في مقابل الآيات الكونية الثابتة، وشكّك الشرفي في المعاني الحرفية للقرآن الكريم وفي أحكامه في مقابل المقاصد الإلهية الشاملة وراء الألفاظ.ولذا فإن القراءات الحداثية بهذه الصورة ستكون بمثابة هدم أركان الإيمان والإسلام، وتشكيك المسلمين في دينهم بدعوى التجديد في المناهج لمسايرة العصر.وفي ضوء ذلك علينا إذن اعتماد المناهج الإسلامية الأصيلة وتطويرها عوضًا عن المناهج الغربية بسبب:

أوّلًا: لأن المناهج الغربية ظهرت نتيجة التمرُّد على الكنيسة نتيجة تعسف وظلم الحاكم والكنيسة

ثانيًا: لأن هذه المناهج تُفرِغ النصوص بشكل عامّ من معانيها ومقاصدها التي كُتبت من أجلها.

ثالثا:عدم الموضوعية ؛لكراهية هذه المناهج الغربية للدين الاسلامي ومحاولة تهديمه من الداخل

هوامش البحث

(١) ينظر: نقد اللسانيات عند الدكتور رشيد العبيدي، د. وائل عبد الأمير خليل الحربي، كلية الآداب، جامعة بابل، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العدد١١، آذار٢٠١٣م ، ص٢١٧.

(٢) اللسانيات العربية في ضوء التراث والتطبيق المنهجي، يوسف وسطاني، مجلة إشكالات في اللغة والادب العدد٩ماي ٢٠١٦م؛ دورية محكمة تصدر عن معهد الآداب الجامعي لتامنغست،الجزائر، ص٢٧٥.

(٣) مناهج اللسانيات علم يدرس اللغة لمعرفة الظواهر اللغوية واستخداماتها وتصنيفها تبعًا لخصائصها.ينظر: اللسانيات،عبد السلام المسدي، ط٢، الدار التونسية، تونس-١٩٨٦م، ص٢٣.

(٤) عملية الانتقال من عالم يسيطر فيه المقدس إلى عالم يسيطر فيه الإنسان.

(٥) دراسة التطور اللغوي عبر الزمن، والمعطيات المؤثرة في اللغة.

(٦) الفهم الحداثي للنص الديني بين الاجتهاد المنضبط والتَّجديد المتفِلت، محمد رستم، مجلة المعيار، المجلد١٤، العدد٢٨، :-12-2011 07م الجزائر، ص٢٤٥.

(٧) ينظر: سؤال المنهج في القراءة المعاصرة للقرآن عند محمد شحرور، الحسن بن عبد القادر حما، المركز الثقافي العربي، منصة ارید مقرها لندن، العدد:٧٩٨٥، تاريخ النشر: تموز ٢٠١٥م، ص٢٣.

(٨) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٤.

(٩) ينظر: قضية قراءة النص القرآني، عبد الرزاق هرماس ، ص١٠٨ .

(١٠) **ريجي بلاشير** (ت: ١٩٧٣م) مستشرق فرنسي، دكتوراه في الأدب عن المتنبي، وترجم القران للفرنسية،شغل كرسي الادب في السوربون، ينظر:موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ط٣،بيروت-١٩٩٣م،ص١٢٧.

(١١) **هنري كوربان** (ت:١٩٧٨م) مستشرق فرنسي درس الإسلام خصوصاً العرفان الشيعي وترجم كتب السهروردي وصدر الدين الشيرازي وابن عربي وحقّقها وتأثر بها، فاعتنق الإسلام سنة 1945م. ينظر:موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ص٤٨١.

(١٢) **لويس ماسينيون**(ت:١٩٦٢م) أشهر مستشرق فرنسي، وعمل كمستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في أفريقيا، والراعي الروحي لتبشير بمصر، اكتشف حصن الاخيضر بالعراق، درس الحلاج وعنى بالتصوف.ينظر:معجم اعلام المورد، ص٤٠٩.

(١٣) القرآن من التفسير، محمد اركون ،١٣٦.

(١٤) ينظر: سؤال المنهج في القراءة المعاصرة للقرآن عند محمد شحرور، الحسن بن عبد القادر حما، المركز الثقافي العربي، منصة ارید مقرها لندن، العدد:٧٩٨٥،تاريخ النشر: تموز ٢٠١٥م.

(١٥) البنيوية؛ النشأة والمفهوم، محمد بن عبد الله بلعفير، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية و الاجتماعية المجلد ٤، العدد ١٥، تاريخ٣٠ سبتمبر/أيلول ٢٠١٧)، الناشر جامعة الأندلس للعلوم و التقنية، ص٢٤٥.

(١٦) البنيوية؛ النشأة والمفهوم، محمد بن عبد الله بلعفير، ص٢٥٩.

(١٧) القراءة المعاصرة للنص لسورة الفاتحة عند محمد أركون، ص٤٩.

(١٨) القراءة المعاصرة للنص لسورة الفاتحة عند محمد أركون، ص٥٠.

(١٩) يُنظر: تاريخ المذاهب، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي القاهرة، ط١، ص١٤٨.

(٢٠) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تح: سامي السّلامة، دار طيبة، ط٢، ١٩٩٩م، ج٢، ص٤٧٧.

(٢١) انظر: دليل النظرية النقدية المعاصرة مناهج وتيارات (ص١٢٣).

(٢٢) ينظر: ما الآن؟ ماذا عن غد ؟ التفكيك، جاك دريدا، ص٧٩، ودليل النظرية النقدية، ص١٢٣-١٢٤.

(٢٣) ينظر: المرايا المحدبة، عبد العزيز حمودة، سلسة عالم المعرفة، العدد٢٣٢، ابريل١٩٩٨، ص٣٣٩.

(٢٤) مصطلحات النقد العربي السيماوي الإشكالية والأصول والامتداد، د. مولاي على بوخاتم، الطبعة: الاولى، اتحاد الكتاب العربي ، دمشق – ٢٠٠٥، ص١٨٧.

(٢٥) ينظر: المصدر نفسه،٣٣٩.

(٢٦) ينظر: المصدر نفسه،٣٣٩.

(٢٧) تلقي التفكيكية في النقد العربي الحداثي، ص٨٦.

(٢٨) المصدر نفسه ، ص٤٨.

(٢٩) نظريات ابن جني في دلالة الألفاظ وموقف المحدَثين، أمين محمد فاخر، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، العدد ١، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، ص١٩٨- ١٩٩.

(٣٠) يُنظر: لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م، ص٥٣.

(٣١) فهم القرآن الحكيم للجابري، ج٣، ص ١٧٢.

(٣٢) التأويلية: هي توضيح مرامي العمل الفني ككل ومقاصده باستخدام وسيلة اللغة.

(٣٣) يُنظر: حدود التأويل في القول بثنائية الظاهر والباطن في القرآن عند الشاطبي، محماد رفيع، مجلة منار الهدى، العدد ١٤، ٢٠٠٩م، ص٣٩- ٥٥.

(٣٤) المصدر نفسه، ص٣٩- ٥٥.

(٣٥) يُنظر: الاجتهاد المقاصدي، د. نور الدين الخادمي، دار ابن حزم، ط١، ٢٠١٠م، ص٢٠٩.

(٣٦) البقرة: ١٨٥.

(٣٧) ينظر: تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، تفسير سورة البقرة ، الآية ١٨٥،ج٢، ص١٦٨.

(٣٨) نقد الخطاب الديني، نصر حامد ابو زيد، الطبعة:الثانية، سيتا للنشر، القاهرة-١٩٩٤، ص١٢.

(٣٩) الإسلام والحداثة، عبد المجيد الشرفي، ص١٦٢

(٤٠) تاريخية الفكر العربي الإسلامي، محمد اركون، ص٤٤.

(٤١) نقد النص، علي حرب ، ص٢٠١.

(٤٢) الإسلام والحداثة، عبد المجيد الشرفي ، ص ٥٩-٦٠.

(٤٣) المصدر نفسه ، ص٦٠.

(٤٤) المصدر نفسه ، ص٨٥.

(٤٥) مفتاح الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة والقرآن الكريم، الجيلاني ،ص٧١.

(٤٦) السنة والإصلاح ص١٢٩، عبد الله العروي ، وينظر نقضَ هذا القول عند عبد السلام محمد البكاري والصديق محمد بوعلام في رؤية نقدية لكتاب السنة والإصلاح للدكتور عبد الله العروي ص٢٥٣ و٢٥٤.

(٤٧) القرآن والتشريع...قراءة جديدة في آيات الأحكام، الصادق بلعيد ،ص٢٩٤

(٤٨) الإسلام بين الرسالة والتاريخ، عبد المجيد الشرفي ،ص٦٩ و٧٠

(٤٩) المصدر نفسه، ص٧٠.

(٥٠) يعني:" اليوم أكملت لكم دينكم ورضيتُ لكم الإسلام دينا"، وقوله:" ما فرطنا في الكتاب من شيء"

(٥١) الصادق بلعيدالقرآن والتشريع...قراءة جديدة في آيات الأحكام ص٢٩٥ و٢٩٦

(٥٢) القرآن والتشريع...قراءة جديدة في آيات الأحكام، الصادق بلعيد، ص٣٢١.